

## غزوة الأحزاب

## الخطبة الأولى

أما بعد. . .

أيها المؤمنون إن الله بعث محمداً ﷺ بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، فجاهد ﷺ في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان، فكانت حياته كلها موقوفةً على الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله، فكان ﷺ بذلك أرفع الناس ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً، فقاتل ﷺ وقوتل وأصاب وأصيب منه هو وأصحابه رضي الله عنهم، فكان جهادهم، وكانت دماؤهم مشاعل نور وهداية، أخرج الله بها كثيراً من الناس من الظلمات إلى النور.

هم العصبة المثلى ولولا جراحهم لظل بهيم الليل كالموج عاتيا

ولولاهم كانت ظلاماً لأهلها ولكن هم فيها بدور و أنجم

أيها المؤمنون إن من المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ بنفسه غزوة الأحزاب التي قص الله تعالى نبأها في كتابه في سورة سميت باسم تلك الغزوة وهي سورة الأحزاب أظهر الله سبحانه وتعالى فيها من عظيم قدرته وبديع صنعه ولطيف فعله ونصره لأولياته وخذلانه لأعدائه ما تطيب به قلوب المؤمنين المتقين، ففي السنة الخامسة من الهجرة في شهر شوال جاءت قريش ومن معها من الأحزاب على الصفة التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وذلك أن اليهود عليهم لعنة الله لما رأوا انتصار المشركين على أهل الإيمان يوم أحد طمعوا في القضاء على الإسلام بالكلية فانتشروا في أحياء العرب يجرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ويؤلبونهم عليه ويعدونهم بالمؤازرة والنصر، فاستجابت قريش لهم وغطفان وغيرها من قبائل العرب فكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف مقاتل، يريدون أن يطفئوا نور الله بأسياهم والله يتم نوره ولو كره الكافرون فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه استشار أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق ليحول بين العدو وبين المدينة فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق شمالي المدينة فبادر المسلمون إلى ذلك، وشاركهم النبي ﷺ بنفسه في الحفر

(١) الأحزاب: ١٠.

فكان ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول: والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا.

وقد كان أيها المؤمنون في حفر النبي هذا الخندق من آيات نبوته وعلامات رسالته ما ازداد بها المؤمنون إيماناً فمن ذلك أن هذه الغزوة كان فيها من النصب والجوع ما لم يكن في غيرها فاستمع إلى ما ذكره جابر رضي الله عنه من نبأ تلك الغزوة قال رضي الله عنه: ((كنا يوم الخندق فعرضت كُدية شديدة فأخبروا بها النبي ﷺ فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر من شدة الجوع فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكُدية فعاد كثيراً أهيل فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت؟ فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان لي في ذلك صبر فعندك شيء؟ فقالت: عندي صاع من شعير وعناق وهي الصغير من المعز فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالقدر فجئت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله طعيم لي فقم ورجل أو رجلان قال: كم هو؟ فذكرت له، فقال: كثير طيب فدعا النبي ﷺ المهاجرين والأنصار وقال: ادخلوا ولا تزاموا فجعل يكسر من هذا الخبز ويجعل فيه شيئاً من اللحم، فما زال كذلك حتى شبع المهاجرون والأنصار، وبقي بقية من ذلك الطعام فقال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة))<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات أيها المؤمنون التي ظهرت في حفر هذا الخندق: عن البراء بن عازب قال: ((أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ قال عوف: وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: باسم الله ف ضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ثم قال: باسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ثم قال: باسم الله وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا))<sup>(٢)</sup>.

فاستبشر بذلك المؤمنون الصادقون وتبلى الواهنون المرتابون فقال الذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله

(١) أخرجه البخاري في المغازي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه برقم ٤١٠١.

(٢) أخرجه أحمد من حديث البراء بن عازب برقم ١٨٢١٩.

ورسوله إلا غروراً.

فلما اجتمعت جحافل الكفر حول المدينة وضيقوا عليها الخناق اشتدت الحال بالمسلمين وعظم عليهم الكرب وزاد الأمر أن اليهود يهود بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ فضاقت الأمور بالمسلمين كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني الأحزاب، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني يهود بني قريظة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup> ومع شدة الكرب وعظم البلاء مازاد المؤمنون على أن قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> أما المنافقون فقد قالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

أيها المؤمنون أقام المشركون محاصرين رسول ﷺ شهراً ولم يكن بينهما قتال يذكر لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين. فأراد النبي ﷺ لما طال على المسلمين الخطب أن يصالح الكفار إلا أن الصحابة أبوا ذلك لما شاورهم النبي ﷺ.

فكان من بديع لطف الله وعاجل فرجه أن صنع للمسلمين أمراً من عنده خذل به أعداءه وهزم جموعهم ونصر به أوليائه وأعز حزبه فكان مما هياً من ذلك أن نعيم بن مسعود رضي الله عنه كان من المشركين فأسلم وجاء للنبي ﷺ فقال له: يارسول الله إني قد أسلمت فمربي بما شئت فقال له النبي ﷺ: ((إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة))<sup>(٣)</sup> فأوقع ﷺ الخلاف بين اليهود وحلفائهم من المشركين فتخاذل الفريقان، وبدت علامات الشقاق والخلاف بينهم.

وكان من عظيم ماهيئه أيضاً لأمة الإسلام أن أرسل على المشركين جنداً من الريح فقوضت خيامهم وخربت بنيانهم فلم تدع لهم قدراً إلا كفأته ولا ظنباً إلا قلعته. وأرسل عليهم الملائكة فألقوا في قلوبهم الرعب والخوف. فلما بلغ الأمر مبلغه بقريش صاح فيهم أبو سفيان: يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً

(١) الأحزاب: ١٠ - ١١.

(٢) الأحزاب: ٢٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٩٦.

عزيراً.

**الخطبة الثانية**

أما بعد. . .

فقد سمعتم أيها المؤمنون نبأ هذه الواقعة وخبر هذه الغزوة التي حوت آيات بينة ودروساً قيمة فدروس هذه الواقعة وعبرها كثيرة فسأشير إلى أهمها وأبرزها. .

فمن أهم دروس هذه الغزوة:

أن الله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(١)</sup> فالله سبحانه نعم المولى ونعم النصير يتولى أوليائه ليميز الخبيث من الطيب فإذا تبين أهل محبته وأهل دينه وتميزت الصفوف جاءهم وعده ووقع خبره ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(٢)</sup>. ومن دروس هذه الغزوة:

حسن بلاء النبي ﷺ وأصحابه حيث إنهم صبروا على ما قدره الله تعالى عليهم بقلوب ثابتة وعزائم راسخة فلم تستفزهم الكروب ولم تقعدهم الخطوب بل كانوا كلما اشتدت الكروب وادلهمت الخطوب زادهم ذلك إيماناً وتسليماً وتصديق ذلك في هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن دروس هذه الغزوة:

أن المؤمنين إذا اجتهدوا في الدفاع عن دينهم وجهاد أعداء الله وأعداء رسوله وفعلوا قصارى طاقتهم في نصر الله ورسالته فإن الله سبحانه وتعالى يكرمهم بعون منه وتأييد فيصنع لهم ويهييء لهم من أسباب الغلبة والنصر ويبعث لهم من جنود العز والتمكين ما لم يكن لهم على حساب ويؤيدهم بجند من عنده وما يعلم جنود ربك إلا هو فإذا صدقنا إيماننا وتمسكنا بديننا والتزمنا بنهج نبينا في كل أمورنا فلا يضرنا كيد

(١) الحج: ٣٨.

(٢) غافر: ٥١.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

الكائدين ولا مكر الماكرين. .

ومن دروس هذه الغزوة شدة عداوة اليهود للإسلام وأهله وأما نقضهم للعهود ونكثهم للمواثيق فهذه من أخص خصائصهم على مر العصور وكر الدهور، قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) البقرة: ١٠٠.